أهكذا تَرُدُّ الفتاة جميل أبيها؟

(خطبة الجمعة للشّيخ عبد الحق شطّاب بمسجد الشّيخ أحمد حفيظ رحمه الله

اليوم 27 من ذي الحجّة 1434هـــ الموافق لــ 1 نوفمبر 2013م)

الخطبة الأولى:

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفُسِنا ومن سيِّئات أعمالِنا، من يهدِهِ الله فهو المُهتد، ومن يُضلل فلن تجِد له وليًّا مرشدًا،

أشهد أن لا إله إلاّ الله وحدَه لا شريك له، وأشهد أنّ مُحمّدًا عبدُه ورسوله،

" يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿01﴾ "سورة النّساء.

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿102﴾ "سورة آل عمران.

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿70﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿71﴾ "سورة الأحزاب.

ألا وإنّ أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ – صلّى الله عليه وآله وسلّم –،

وشرّ الأمور مُحدثاتها، وكلّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلّ بدعةٍ ضلالةٌ، أعاذنا الله من الزّيغ والضّلال،

معاشر الإخوة الكرام، جمعتنا هذه المباركة، يدور الحديث فيها حول موضوع:

أهكذا تَرُدُّ الفتاة جميل أبيها؟

قال تعالى وهو يصف حال العرب قبل الإسلام، في نظراتهم إلى المرأة:

" وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿58﴾ يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿59﴾ " **سورة النّحل.**

فانظروا لّما جاء الإسلام، كيف حثّ على رعاية البنات، وكتب لمن يفعل ذلك الأجر الجزيل، والنّجاة من الجحيم.

روى مسلمٌ وابن ماجةٍ وأحمد، عن عائشة رضي الله عنها أنّها قالت: { **جاءتني مسكينةٌ تحمل ابنتين لها، فَأَطْعَمْتُهَا ثلاث تمراتٍ، فأعطت كلّ واحدةٍ منهما تمرةً، وَرَفَعَتْ إلى فِيهَا تمرةً لتأكلها، فاستطعمتها ابنتاها، فشقّت التّمرة الّتي كانت تريد أن تأكلها بينهما، فأعجبني شأنها، فذكرت ذلك لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فقال:**

(إنّ الله قد أوجب لها بها الجنّة، أو أعتقها من النّار) }.

روى مسلمٌ والتّرمذي وأحمد، وعن أنسٍ بن مالك رضي الله عنه، قال: { **قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: (من عَالَ جاريتيْن حتّى تَبْلُغَا، جاء يوم القيامة أنا وهو)، وضمّ أصابعه** }.

قال الإمام النّووي رحمه الله: (**ومعنى " عَالَهُمَا ": قام عليهما بالمؤونة والتّربية ونحوهما**).

روى البخاري والتّرمذي وصحّحه الألباني في صحيح التّرغيب، وعن أبي سعيدٍ الخدري رضي الله عنه، قال: { **قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم:**

(من كان له ثلاث بناتٍ أو ثلاث أخواتٍ، أو إبنتان أو أُختان، فأحسن صحبتهنّ، واتّقى الله فيهنّ، فله الجنّة) }.

إخوتي الكرام،

إذا علمنا هذا، هل يتبرّم الواحد إذا رُزِقَ بالبنات؟،

كلاّ! بل ينبغي أن يفرح ويستبشر خيرًا، لأنّ بناته مطيّةٌ إلى الجنّة، وسدًّا له عن النّار.

فيا طوبى لمن رُزِقَ بالبنات!، فقام على رعايتهنّ وتربيتهنّ وتزكيتهنّ، ليكنّ عفيفاتٍ طاهراتٍ، مُتعلّماتٍ مُطيعاتٍ.

ذلك لأنّه ليس العبرة بأن تُرْزَقَ بناتٍ لتحصل على الثّواب، لأنّ ذلك الثّواب لا تناله إلاّ إذا أحسنت تربيتهنّ، وهذا يتطلّب تعاونًا بين الزّوجين، وألاّ يهدم الواحد ما يبنيه

الآخر، كأن يأمر الأب بلباس السُّتْرَةِ، وتأتي الأمّ فتقول البنت لا تزال صغيرةً، فلا حرج من لباسٍ فاضحٍ أو ضيّقٍ، والعكس صحيحٌ أيضًا.

إخوتي الكرام،

لقد دعا زكريَّاء عليه السّلام ربّه، فقال:

" . . . قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿ 38 ﴾ " سورة آل عمران.

فهو لا يطلب ذريّةً فحسب، بل ذريّةً طيّبةً أي صالحةً، ذريّةً مستقيمةً على أمر الله تعالى، طائعةً لِرَبِّهَا، كدعاء عباد الرّحمٰن أن يهبهم الله ما تقرّ به عيونهم:

" وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿ 74 ﴾ " سورة الفرقان.

وهل تقرّ عين أبٍ حصل ابنه على أعلى الشّهادات، وارتقى أعلى المناصب والمكانات، ثمّ لا يركع ركعاتٍ لِرَبِّ السّماوات؟.

وهل تقرّ عين أمٍّ لإبنتها الّتي حصلت على أعلى الشّهادات، ثمّ لا ترتدي لباس الطّاهرات؟.

كلاّ وألف كلاّ! لا تقرّ عيون الوالديْن الصّالحيْن حتّى يَرَوْا من أبنائهم نجاحًا في أمور الدّنيا، واستقامةً في أمور الآخرة، لكنّ خيانة الإسلام وخيانة الأسرة وخيانة الأب أمرٌ خطيرٌ.

قال الرّاغب الأصفهاني رحمه الله: (**الخيانة: مخالفة الحقّ بنقض العهد في السِّرِّ**).

وقال الشّيخ ابن عاشور رحمه الله: (**حقيقة الخيانة: عمل من اؤْتُمِنَ على شيءٍ بِضِدِّ ما اؤْتُمِنَ لأجله**).

هذه نصوصٌ من الكتاب والسّنّة، تدعو إلى حُسن تنشئة الأبناء وعلى الخصوص البنات.

البنت لا بدّ من تربيتها على الحياء، على السُّترة منذ الصّغر حتّى تشبّ على الحياء، والطّهارة والعفّة.

لقد كانت الأجيال المتقدّمة من الرّجال يحرصون على شرفهم أيّما حرصٍ، حتّى دفعهم ذلك على منع البنات من التّعلّم، خوفًا من ضياع العِرْضِ والشّرف.

نحن لسنا ممّن يقول: (**رَحِمَ الله زمانًا، كانت تخرج المرأة ثلاث مرّاتٍ!**)،

ولكن لتعلم أنّها إن خرجت فصاحبت الرّجال، فقد خانت الإسلام، وخانت الأمانة، وخانت الأب.

والحمد لله الأجيال المتأخّرة تنوّرت عقولها، فحرصت على تعليم بناهّا كأبنائها، ووثقن في بناهّنّ، فتركنهنّ يدرسن ويتعلّمن شتّى علوم الحياة، وهذه نعمةٌ ما ينبغي أن تنقلب نقمةً.

أبٌ مُتفهّمٌ، ترك ابنته تدرس، وإذا بها تُصاحب الرّجال، وتخون الأمانة، وتقع في المحظورات، هذه خائنةٌ لأمانة الأب، وأمانة الإسلام قبل ذلك، قال تعالى:

" . . . فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿32﴾ " **سورة الأحزاب.**

هل نردّ إحسان الأب إساءةً، والله يقول:

" هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴿60﴾ " **سورة الرّحمٰن.**

فكيف تصاحبين رجلاً لا يحل لك شرعا، وتعطيه المواعيد في خفية من الأسرة، أهكذا يُجَازَى الأب؟.

إنّ مثل هذا الأب لو يُغْرَسُ سكّينٌ في ظهره، سيندمل الجرح ويبرأ، ويزول أثر الطّعنة.

لكن إن دُنِّسَ شرفه، فهو الجرح الّذي لا يندمل، وهي الخيانة الّتي لا تُنْسَى.

قبل أسبوعٍ، حضرتُ مشهد خيانةِ فتاةٍ لأسرهّا، إذ لقيَها أخوها في الطّريق، وهي تُصاحِب شابًّا ماسكًا يدها، فأمسك الأخ ذلك الشّابّ، وبَهَتَتْ الفتاة وتَسَمَّرَتْ،

وهي ترى أخاها قد كشف أمرها أمام مرأى ومسمع النّاس، وهو يتعارك مع هذا الشّابّ.

أهكذا تتزوّج الحُرَّةُ؟،

أهكذا تَرُدُّ الخير لأبيها وأخيها؟،

أهكذا نَرُدُّ خير الآباء والإخوة؟،

بِئْسَ هذا العلم الّذي يُدَنِّسُ الشّرف!،

وَبِئْسَ الجامعة الّتي تُخَرِّجُ فاجراتٍ وفاسقاتٍ!.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه، إنّه هو الغفور الرّحيم.

الخطبة الثّانية:

الحمد لله حمدًا كثيرًا مباركًا، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، أحمده على نِعَمِهِ، وأشكره على فضله وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّدًا عبده ورسوله،

معاشر المسلمين،

انظروا قصّة ابنتا شُعَيْبٍ عليه السّلام في العفّة والحياء، والمروءة والشّهامة، وحفظ شرف وكرم الأسرة، واحترام الوالد، وتقديس الإسلام.

قال تعالى:

" وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿ 23 ﴾ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿ 24 ﴾ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿ 25 ﴾

قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿ 26 ﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿ 27 ﴾ " **سورة القصص**.

انظروا حياءهما: " **لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ** "، لا اختلاط مع الرّجال،

وانظروا: " **فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ** ".

الإسلام لا يفرض على المرأة زوجًا بِعَيْنِهِ، ولا يُقْبَلُ أن تصاحب الرّجال في الطّرقات والشّوارع بغير عقدٍ شرعيٍّ، فعن ابن عباسٍ رضي الله عنه أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال:

(**البِكْرُ تُستأذن في نفسها، وإذنها صُمَاتُهَا**)، رواه مسلمٌ ومالكٌ وغيرهما.

اللّهمّ أهدِنا فيمن هديْت، وعافِنا فيمن عافيْت، وقِنا شرّ ما قضيْت،
اللّهمّ لا تَدَعْ لنا في مَقامِنا هذا ذنبًا إلاّ غفرته، ولا دَيْـــنـــًا إلاّ قضيْته، ولا مريضًا إلاّ شفيْته، ولا حاجةً من حوائج الدّنيا أو الآخرة لك فيها رضًا ولنا فيها صلاحاً إلاّ قَضيْتها لنا ويَسَّرتَها لنا، يا أرحم الرّاحمين،

اللّهم إنّا نسألك فِعل الخَيْرات، وتَرْك المنكرات، وحُبّ المساكين، وإذا أردت بِقَوْمٍ فِتنةً، فتَوَفَّنا غير فاتنين ولامفتونين،

اللّهمّ إنّا نسألك حُبَّك وحبّ من أحبّك، وحبّ كلّ عملٍ يُقرِّبنا إلى حبّك،

اللّهمّ اجعل خير أعمالنا خواتمها، وخير أيّامنا يوم لِقاك،

اللّهمّ لا تأخذنا على حين غِرّةٍ، ولا على حين غفلةٍ،

اللّهمّ إنّك عفوٌّ تحبّ العَفْوَ فَاعْفُ عنّا،

اللّهمّ إنّك عفوٌّ تحبّ العَفْوَ فَاعْفُ عنّا،

اللّهمّ إنّك عفوٌّ تحبّ العَفْوَ فَاعْف عنّا،

اللّهمّ انصر الإسلام والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، واخذُل ودمِّر أعداء الدّين في مشارق الأرض ومغاربها،

اللّهمّ فرّج كربة ومحنة السّوريّين،

اللّهمّ فرّج كربة ومحنة المصريّين،

إنّك على كلّ شيءٍ قديرٌ، وبالإجابة جديرٌ، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، سبحانك اللّهمّ وبحمدك، أشهد أن لا إلــٰـه إلاّ أنت، نستغفرك ونتوب إليك.